# قِصَّةُ أَبي طَالِب كَفِيْلِ الرَّسول

توفي الجد العظيم الذي لم يُقصّر لحظة في تربية حفيده محمد(ص) ولم يكن يُشغل باله إلا هذا اليتيم الذي يحمل في صفحات وجهه ملامح النبوة، وفي قلبه أنوار الإيمان، وكان عبد المطلب عندما شعر بدنو الأجل جمع أبناءه وأوصاهم بمحمدٍ خيراً، وقد أوكل أمر كفالته إلى ولده الكريم أبي طالب رضوان الله عليه الذي كان شعوره تجاه ابن أخيه كشعور أبيه الراحل.

وكان أبو طالب سيداً مُطاعاً في قريش، وقد استعمل نفوذه لحماية محمد ودعوته الصادقة طيلة عقود من الزمن دون أن يصرّح بالإيمان وهو مؤمن يشبه في سلوكه مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه من أجل حماية الإيمان.

وما كان يعلمه عبد المطلب عن حفيده فقد علِمه أبو طالب عن ابن أخيه، ولذا فقد بذل كل ما بوسعه للحفاظ على هذه الأمانة الغالية التي شغلت باله لسنوات طويلة.

وكما استُهدف جده هاشم وأبوه عبد المطلب استُهدف هو أيضاً، ولكن الفرق بينه وبين جده وأبيه أنه استُهدف في حياته بطريقٍ غير مباشر، وبعد وفاته بطرقٍ مباشرة حيث اتهمه القوم بأنه وثني وأنه مات على الكفر مع أنّ كل ما قام به طيلة حياته دلّ على عكس اتهاماتهم وافتراءاتهم.

وفي الحقيقة لم يكن شخصُ أبي طالب هو المستهدَف، بل شخص ابنه أمير المؤمنين(ع) الذي لم يجدوا عليه عيباً واحداً في حياته فراحوا يشوّهون بسمعته من خلال اتهام أبيه بالكفر مع أن إيمان أبي طالب كان واضحاً لكل ذي عقل.

هذا الذي يتهمونه بالكفر هو الذي حمى نبيّهم من الموت مراراً، وهو الذي دافع عن الرسالة كما دافع عنها صاحبها(ص) وهو الذي فداه بنفسه وأولاده بعد أن سمع كلام الراهب بحيرا في حقه عندما التقى به وأخبره بأن ابن أخيه يحمل علامات النبوة، ومن حينها أهمل أعماله وتجارته وتفرّغ لحماية ابن أخيه من كيد القرشيين.

لقد كان أبو طالب الداعم الأول للرسالة والرسول، وقد أنفق كل ما يملك عندما حوصر النبي والمسلمون في شُعبه المعروف، ولم يترك وسيلة إلا واستعملها ليُبقي النبي والمسلمين على قيد الحياة.
وكانت له مواقف مشرِّفة وجريئة، وقد عرّض حياته وحياة عائلته للخطر بسبب حماية الإسلام، وقد عبّر مراراً عن مدى شغفه بابن أخيه النبي، ومن أشهر أقواله: إنّ ابن آمنة النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد:
وكما أوصاه والده عبد المطلب بحماية محمد ونصرة دينه فكذا أوصى أولاده وأخوته بحمايته ونصرته، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على قناعته بالإسلام وإيمانه بالله ورسوله.
فلو كان أبو طالب كافراً لما أكل النبي من ماله، ولو كان كافراً لَما ترحّم عليه وأطلق على العام الذي توفي فيه بعام الحزن.
والنبي لا يقوم بشيء إلا بوحي من الله، وما صنعه مع عمه أبي طالب كان بوحي من السماء، وكل مواقف النبي وكلامه في حقه عمه تدل على كونه كان من أوائل الذين آمنوا بالله ورسوله.

## قِصَّةُ النبي(ص) مع الراهِبِ بُحَيْرا

لم يكن أمر رسول الله محمد(ص) قبل بعثته خفياً على الرهبان والأحبار، فقد كان عندهم علامات يستندون عليها في إثبات كونه نبياً أم لا، وكانوا على علمٍ باليوم الذي سيولد فيه هذا النبي، وقد أرسلوا عيونهم إلى مكة يوم ولادته حتى يعرفوا من أية عائلة هو.
وعندما كبُر رسول الله(ص) وكان في رعاية عمه العظيم أبي طالب رضوان الله عليه اصطحبه معه في بعض أسفاره.
وكان من عادتهم في السفر أن ينزلوا ببصرى الشام التي كان فيها راهبٌ في صومعة له، وكان من علماء النصرانية، ولم يكن يكلّم أحداً منهم أو يقدم لهم شيئاً

من الطعام إلا هذه المرة فقد صنع طعاماً كثيراً ودعاهم إلى تناوله فاندهشوا لصنيعه.
ولم يكن هدفه هذه المرة تقديم الطعام لهم وإنما كان وسيلة ليجلس إلى أبي طالب وابن أخيه حيث شاهد أمراً غريباً فيه لفت انتباهه خصوصاً بعد أن جلس النبي(ص) تحت شجرة هناك تظلها غمامة.
صنع لهم الطعام وأرسل إليهم قائلاً: يا معشر قريش إني أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحرّكم: فقال له أحدهم: ما شأنك اليوم أيها الراهب؟ ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً؟ فقال بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول ولكنكم ضيف، وقد أحببتُ أن أكرمكم.
فحضروا إليه جميعاً باستثناء النبي(ص) فدعاه فأتى فاحتضنه، وقد تعجّب القوم لذلك.
ثم راح بحيرا يحدق به وينظر إلى جسده ويتأمله كثيراً، وبعد أن انتهوا من طعامهم انصرفوا إلا رسول الله الذي راح يسأله عن نومه ويقظته وطعامه وبعض سلوكياته، ثم طلب منه أن يكشف القميص عن كتفه فنظر بحيرا إلى علامة كانت في ظهره فتأكد من حينها أنه النبي الموعود الذي قرأوا عنه في الإنجيل والتوراة.
وكان عمره الشريف حينها اثني عشر عاماً، فأقبل الراهب على عمه أبي طالب وقال له: ما هو ابنُك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً؟ فقال أبو طالب: إنه ابن أخي: فقال له الراحب: يا أبا طالب إرجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود، فوالله لو عرفوا منه ما عرفتُ لقتلوه، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأن عظيم، وعندما سمع أبو طالب كلام بحيرا شعر بخوف شديد على ابن أخيه وقطع السفر وعاد به إلى مكة على وجه السرعة.